النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء

الدكتور
أسيل سامي أمين
جامعة القادسية / كلية الآداب

النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء

الدكتور
أسيل سامي أمين
جامعة القادسية / كلية الآداب

ملخص البحث

التداولية من اللسانيات الحديثة التي تدرس اللغة على أساس أن الوظيفة الأساسية لها هي التواصل، والربط بين النظام اللغوي وكيفية استعمال هذا النظام، فاللغة إن هي إلا وسيلة للتواصل الاجتماعي وتحكمها ظواهر تداولية مرتبطة بالمقام أي بمختلف الظروف المقامية التي تُنجز فيه الجمل ، وإن كان هذا المنهج أصله غربي فإن من الباحثين العرب من طبق هذا المنهج في دراسة اللغة على اللغة العربية فحاول إدماج الفكر اللغوي العربي القديم بالفكر اللساني الحديث واستثمره في وصف اللغة العربية.

وسعيًا منا للوقوف على ما قدمه هذا النوع من الدرس اللساني للغة العربية وما أضافه لها وما جاء به من جديد كان هذا البحث. إذ نحقق مقاربة بين أراء النحاة العرب القدماء وأراء الباحثين المحدثين من التداوليين في باب من أبواب النحو العربي وهو النداء.

وقد جاء البحث في ثلاثة محاور، الأول كان هو تركيب النداء وتناول البحث فيه أداة النداء والمنادى، أما المحور الثاني فكان إعراب المنادى، واختص المحور الثالث بدلالة النداء .

وقد وجدنا أن التداوليين وإن حاولوا تقليص أدوات النداء التي ذكرها النحاة القدماء فإنهم أضافوا أداتين أخريين لما ذكره القدماء وهذا نابع من اختلاف نظرة التداوليين إلى اللغة عن نظرة القدماء إليها. لم يختلف التداوليون في تمييزهم بين النداء بوصفه فعلا لغويًا وبين المنادى الذي يُحيل على الذات التي يُوجَّه إليها الخطاب.

اتكأ التداوليون في وجه من وجوه تفسيرهم لإعراب المنادى على النظرية العربية المفسرة له، وفي وجه آخر من تفسيرهم عجزوا أن يأتوا بنظرية تفسر إعراب المنادى بأنواعه جميعها.

جاء استقراء التداوليين قاصراً وغير كامل لما قال به النحاة في الدلالات التي يفضي بها النداء في السياقات المختلفة.

المقدمة:

التداولية من اللسانيات الحديثة التي تدرس اللغة على أساس أن الوظيفة الأساسية لها هي

التواصل، والربط بين النظام اللغوي وكيفية استعمال هذا النظام، فاللغة إن هي إلا وسيلة للتواصل الاجتماعي وتحكمها ظواهر تداولية مرتبطة بالمقام أي بمختلف الظروف المقامية التي تُنجز فيه الجمل ، وإن كان هذا المنهج أصله غربي فإن من الباحثين العرب من طبق هذا المنهج في دراسة اللغة على اللغة العربية فحاول إدماج الفكر اللغوي العربي القديم بالفكر اللساني الحديث واستثمره في وصف اللغة العربية.

وسعيًا منا للوقوف على ما قدمه هذا النوع من الدرس اللساني للغة العربية وما أضافه لها وما جاء به من جديد كان هذا البحث الموسوم بـ((النداء بين التداولية وآراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء)). إذ نحقق مقاربة بين أراء النحاة والبلاغيين العرب القدماء وأراء الباحثين المحدثين من التداوليين في باب من أبواب النحو العربي وهو النداء.

وقد جاء البحث في ثلاثة محاور ، الأول كان هو تركيب النداء وتناول البحث فيه أداة النداء والمنادى، أما المحور الثاني فكان إعراب المنادى، واختص المحور الثالث بدلالة النداء .

مداد مادة هذا البحث هو ما جاء من مادة نحوية في كتب النحو القديمة ككتاب سيبويه، والمقتضب للمبرد وشرح كتاب سيبويه للسيرافي، والإيضاح في شرح المفصل وغيرها وما أمدتنا به التداولية في كتب مؤلفيها من آراء وأفكار جديدة.

تركيب النداء

١- أدوات النداء

النداء في النحو العربي قائم على جزءين هما أداة النداء والاسم المنادى، إذ ينبه المخاطب بـ((يَا، وأيا، وهَيَا، وأيْ، وبالألف)) (١) هذا إذا كان المخاطب ليس مندوبًا إذ يلزمه ((يا وَوا)) (٢) ولا مستغاثًا إذ يلزمه ((يا)) (٣)، وذكر بعضهم من حروف النداء: ((آا و آي بالمد)) (٤). هذه هي حروف النداء عند النحاة العرب القدماء وهي نفسها عند النحاة التداوليين أو الوظيفيين إلا أنهم يميلون إلى تقليص قائمة الأدوات الواردة في كتب النحو إلى عدد أقل لأسباب، أولها: أن بعض الأدوات هي نتاج اختلافات لهجية من مثل الأداتين "هيا، و أيا"، وثانيها: أنه لم يعد يستعمل في اللغة العربية المعاصرة إلا بعض من الأدوات التي أحصاها النحاة العرب القدماء، وأهم الأدوات التي تستعمل الآن في البنيات الندائية هي: "أيها"، و "يا" و "أ" (٥). غير أنهم أضافوا إليها أداتين هما الأداة صفر، أو غياب الأداة ورمزوا لها بـ((Ø)) (٦)، والأداة ((أيّ، أو أيّها))(٧). والقول بهتين الأداتين في النداء عند التداوليين في أغلب الظنّ يرجع إلى أمور منها أنهم اشترطوا في المكون المنادى ((أن يحيل على كائن حي))(٨) ، فامتنع عندهم أن يكون " أيّها " منادى لأنه لا يشير إلى كائن حيّ بذاته، وتحتم عندهم أن تكون " أيّها" أداة

نداء، والمنادى هو "الرجلُ" في الجملة القائلة " أيُّها الرجلُ، أقبل "، في حين أن " أيُّها " عند النحاة القدماء ((مبهَمٌ يلزمه التفسيرُ، فصار هو والرجل بمنزلة اسمٍ واحدٍ، كأنك قلت يارجلُ ... والألف واللام والمبهمُ يصيران بمنزلة اسمٍ واحد.)) (٩) والهاء في " أيُها " جُعِلت للتنبيه فهي بمنزلة "يا" وقد أُكِدَ التنبيه بـ"ها" حين جُعِلت يا مع ها، فمن ثم لم يجز أن يُسكت على " أيٌّ "، ولزمها التفسير(١٠)، وقيل: ((الألف والهاء اللتان لحقتا أي توكيداً، فكأنَّك كَرّرت يا مرتين إذا قلت: يا أيُّها، وصار الاسمُ بينهما كما صار هُو بينَ هَا وذَا إذا قلت ها هو ذا.)) (١١) إذ يُهَمُ من النص هذا أنّ " أيٌّ " هي اسم وقد وقع موقع المنادى عند النحاة القدماء، وقد امتنع دخول "يا " على ما فيه الألف واللام عند النحاة القدماء لأن من قال: يارجلُ، معناه كمعنى يأيُّها الرجلُ، وصار معرفة لأنه أشار إليه وقَصده قصدَه، واكتفى بهذا عن الألف واللام ،فإنّما تُدخِل العرب الألف واللام في الكلام لتعرّفك شيئا بعينه قد رأيتَه أو سمعتَ به، فإذا قصدوا الشيء بعينه دون غيره وعَنَوه، ولم يجعلوه واحدًا من أُمّة، فقد استغنوا عن الألف واللام. فمن ثم لم يُدخلوهما في النداء (١٢). ومن الأسباب المسوغة لإيجاد الأداة صفر عند التداوليين هو عدم القول بوجود الحذف في الجملة أو النص وما يترتب عليه من تقدير للجزء المحذوف، وتحلل الجملة بناء على بنيتها الخارجية، أو البنية الظاهرة أو السطحية لها من غير أن يبحث عمّا هو خفي أو عميق أو تحتي، فالجملة كما تنطق وتُتداول تُدرس لأنها هي أداة التوصل بين أفراد المجتمع، ومن هنا جاءت الأداة صفر " ø " في مثل الجملة القائلة " زيدُ، أقبل "، في النحو الوظيفي التداولي ؛ في حين أن هاتين الأداتين لاوجود لهما في النحو العربي القديم وذلك لأن الأداة في مثل هذه الجملة محذوفة إذ ((لا يجوز حذف حرف النداء إن كان المنادى الله أو ضَميرًا أو مستغاثًا أو متعجبًا منه أو مندوبًا ... فإن كان غير هذه الخمسة جاز الحذف إلا أن جوازه يقل مع اسم الإشارة واسم الجنس المبني للنداء)) (١٣)والمواضع التي يمتنع حذف أداة النداء منها هي ثمانية مواضع عند بعضهم إذ أضاف إليها أربعة مواضع بعد أن أهمل ذكر موضع التعجب وهي : ((المنادى البعيد ؛ لأن المراد فيهن إطالة الصوت، والحذف ينافيه، واسم الجنس غير المعين كقول الأعمى " يا رجلاً خُذْ بيَدي " ... واسم الإشارة، واسم الجنس لمعين خلافًا للكوفيين فيهما.)) (١٤) وقيل: ((يجوز حذف حرف النداء عمّا لا توصف به أيّ ... ومن الناس من قال: لم يجز الحذفُ في قولك: يا رجلُ لبقائه مبهمًا وفي قولك: يا زيدُ جازَ لكونه غيرَ مبهمٍ فلا يلزمُ من جواز الحذف في الموضع الذي يعلمُ المنادَى فيه جوازُ الحذف في الموضع الذي لا يعلم))(١٥) والحاصل أنه يجوز حذف أداة النداء مع العلم نحو قوله تعالى((يوسف أعرض عن هذا))(١٦)، والمضاف نحو قوله تعالى: ((رَبِّ أغفِرْ لي ولأخي)) (١٧)، والموصول نحو: " مَن لا يزالُ مُحسنًا، أحسنْ إليَّ "، و " أيٌّ " نحو: " أيُّها المؤمنون "، والمُطوّل نحو: خيرًا من زيدٍ أقبلْ. (١٨)

وإن كان ثمة مسوغ لإيجاد الأداة صفر " ø " عند التداوليين فإني أرى أن لا مسوغ عندهم لإيجاد الأداة " أيُّها " إذ كان بإمكانهم أن يقولوا أن الأداة في مثل الجملة " أيُّها الرجل، أقبل " هي الأداة صفر " ø " فمسوغ إيجادها في الكلام عندهم هو نفسه الذي أوجد الأداة " أيُّها "، ثُم ما الفرق بين الجملتين " زيدُ، أقبل " و " أيُّها الرجل، أقبل " من حيث الأداة، إذ تصلح الأداة صفر "ø " أن تكون مدمجة مع المنادى في الجملتين ولا سيما أن هذه الأداة لم تعرف عندهم ولم تحد بشيء وهي أداة تصلح أن تأتي في كل موضع حدث فيه حذف للأداة عند النحاة القدماء في موضوع النداء وغيره.

إنّ القول بوجود الأداة " أيُّها " في النداء دفع التداوليون إلى القول بدخول أداة النداء على أداة النداء الأخرى من مثل ما جاء في الجملة القائلة " أيا هند، هل تسمعين " و الجملة القائلة " يا أيُّتها الفتاة، هل تسمعين " وتوارد ثلاث أدوات نداء على المنادى في الجملة القائلة " أيا أيُّتها الفتاة، هل تسمعين " ومسوغ ذلك عندهم المسافة بين المتكلم والمخاطب أثناء التنادي فإن كانت المسافة تتخذ السمة القصوى (+ بعيد) تواردت على المنادى أكثر من أداة، وإن كانت المسافة ذات سمة متوسطة (± بعيد) أو كانت المسافة ذات سمة دنيا (_ بعيد) أدمجت أداة نداء واحدة مع المكون المنادى مع مراعاة نوع الأداة بحسب السمة، فللدنيا أدوات نداء خاصة، وللوسطى أدوات أخرى (١٩). ودخول حرف على حرف آخر يحمل المعنى نفسه والعمل نفسه ممتنع عند النحاة القدماء (٢٠) لذا قيل: ((أنّ الاسم لا يُنادى وفيه الألف واللام، لأنّك إذا ناديته فقد صار معرفة بالإشارة بمنزلة هذا، وذاك، ولا يدخل تعريف على تعريف)) (٢١).

ولا يخفى على أحد أن القول بتوارد أكثر من أداة نداء على المكون المنادى عند التداوليين من مثل " أيا " فهي عندهم أداتان لا أداة واحدة وهما " أ " و " يا " قد يدفع بالقول بالمثل مع الأداة " هيا " فتمسي أداتين بدلا من أداة واحدة وهما " الهاء " و" يا " مع العلم أنه لم يرد ذكر "الهاء" بين أدوات النداء عند النحاة القدماء والنحاة التداوليين فهي ليست من أدوات النداء و"هيا" عند النحاة القدماء هي حرف نداء ينادى بها البعيد مسافة أوحكمًا (٢٢)، والهاء فيها قيل: ((هي بدل من همزة " أيا " ... وقيل: هي أصل لا بدل .)) (٢٣) فهي على الرأي الأول تصلح أن تكون من باب توارد الأدوات على المكون المنادى لأنها فرع من " أيا "، في حين على الرأي الثاني لا يمكن أن تكون من باب توارد الأدوات على المكون المنادى لأنها أصل في ذاتها وليست فرعًا عن غيرها. إن الأداة " أيا" المكونة من أداتي نداء عند التداوليين هي أداة نداء واحدة عند النحاة القدماء لكنها أداة مركبة .

ويلاحظ أن الأساس الأول الذي وزع النحاة القدماء أدوات النداء عليه هو الوظيفة النحوية وهي النداء المحض والاستغاثة والندبة إذ قالوا: ((تقع (وا) في النُّدْبة)) (٢٤)، وقيل أيضا: أنَّ "وا" ((لا

تستعمل إلا في الندبة)) (٢٥)، وقيل في الاستغاثة: ((إذا استُغيث اسمٌ وجب كونُ الحرف " يا " وكونُها مذكورة))(٢٦)أمّا أدوات النداء الخالص فهي " يا " وهي أُم الباب والدليل على ذلك ((أنّها تستعمل في جميع ضروب النداء وما عداها لا يستعمل إلا في النداء الخالص الذي لا يدخله معنى التعجب ولا الندبة ولا الاستغاثة، إلا " وا " فإنّها لا تستعمل إلا في الندبة))(٢٧) والمراد بباقي الأدوات هي " أيا " و " هيا " و " أ " و" أي" والهمزة و" أي " الممدودتان. وقد اعتمد التداوليون هذا الأساس في توزيع أدوات النداء عندهم وقد أسموه القوى الانجازية وهي التي تسهم في تحديد الأدوات التي تقترن بالمكون المندوب والمكون المستغاث والمكون المنادى(٢٨).

أمّا الأساس الثاني الذي وزع النحاة القدماء أدوات النداء عليه فهو المسافة بين المُنادي والمُنادى أو البعد بينهما على سبيل الحقيقة أو المجاز فكانت ثمة أدوات تفيد نداء القريب ،وبعض الأدوات كانت للبعيد وأخرى للمتوسط البعد، ومن ذلك ما قيل في الهمزة فـ ((الهمزة المقصورة للقريب إلا أن نُزِّل منزِلة البعيد، فله بقية الأحرف كما أنَّها للبعيد الحقيقي)) (٢٩)، وقيل: ((الهمزة فللقريب ولا تستعمل في غيره أصلا.)) (٣٠)، وقيل في " أي " إنها تستعمل((للمتوسط))(٣١)، وقيل: إنها ((تكون للقريب خاصة)) (٣٢)ومنهم من رفض هذا الرأي بشدة فقال :((ومن زعم أن أي كالهمزة في الاختصاص بالقرب لم يعتمد في ذلك إلا على رأيه، والرواية لا تعارض بالرأي))(٣٣)، والصواب أنها تستعمل لمد الصوت للشيء المتراخي عن المنادِي، والإنسان المعرض عنه، الذي يجده لا يُقبِل عليه إلا بالاجتهاد، أو النائم المستثقل، وقد تستعمل للقريب أو نداء من هو مقبل على المنادِي قريب منه توكيداً هذا هو رأي سيبويه فيها وفي الأدوات " يا " و، " أيا "، و"هيا " (٣٤)، على أن المبرد يجعل " أيا " وهيا " و" أي " " يا " لمد الصوت، وخص الأولين بنداء النائم والمستثقل، وجعل " يا " لنداء القريب والبعيد. (٣٥) في حين بعضه زعم أن المبرد جعل " أي " والهمزة لنداء القريب (٣٦).على أن قول القدماء بإفادة هذه الأدوات نداء البعيد لم يتعد هذا الأمر فهم لم يميزوا بين هذه الأدوات وتمثيلها للبعد بين النادِي والمنادى والفوارق بينها في هذا التمثيل كأن تكون الأداة "أيا" أو هيا " أبلغ في إشارة إلى البعيد من "يا " وبعبارة أدق لم يحددوا أي الأدوات تستعمل للبعيد جدا وأيها يستعمل للأقل بعداً فهم لم يوضحوا التدرج في أداء هذه الأدوات لمسافة البعد بين المنادِي والمنادى.

إن البعد بين المنادِي والمنادَى الذي أعتمده النحاة قديمًا في توزيع أدوات النداء هو ما أطلق عليه التداوليون بـ(المركز الإشاري) ويراد به في باب النداء ((عنصر مكان التخاطب والمسافة الفارقة بين المتكلم والمخاطب على الخصوص.)) (٣٧) فيعتمد إدماج أدوات النداء في التراكيب النحوية على متوالية يحدها قطبان هما سمة دنيا (_ بعيد) و السمة القصوى (+ بعيد) وتتوسطهما مسافات تتفاوت من حيث

درجات البعد عن مكان المتكلم يؤشر لها بـ(± بعيد)، فكان نصيب السمة الدنيا الأدوات (الأداة صفر " Ø "، والهمزة " أ")، والسمة الوسطى لها الأدوات (" يا " و " آ" و " هيا " و" أي) في حين أ السمة القصوى يتعين عندهم أن تدمج أكثر من أداة في التركيب النحوي لتحقيق هذه السمة ومن ذلك (" أيا" و " يا أي " و " أيا أي ") ⁽٣٨⁾ والترتيب الذي وضع فيه التداوليون الأدوات يوحي بأنهم رتبوها بحسب قوتها في تمثيل مسافة البعد بين المنادِي والمنادى فوضعوا أولا أدوات السمة الدنيا ثم أوات السمة الوسطى فأدوات السمة القصوى، لا بل نجدهم رتبوا الأدوات في السمة القصوى فيما بينها فأتى الترتيب تصاعديا. وكلام التداوليين هنا لا يختلف عن كلام القدماء في هذه المسألة سوى قولهم بدخول أكثر من أداة للنداء على المنادى الواحد وقولهم هذا مردود عند القدماء لأن ماعدوه أداتين من مثل " أيا " عند القدماء هي أداة واحدة بدليل النصوص المنقولة سابقًا، وما عدوه أداتين من مثل " يا أي " وثلاث أدواة " أيا أي " مردود أيضا عند القدماء لأن " يا " و " أيا " هما أداتا النداء و " أي " هو المنادى باللفظ والواسطة لنداء ما فيه " ال " عند القدماء كما سبق بيان ذلك.

والأساس الثالث الذي أعتمده النحاة قديمًا في دخول أداة النداء على المنادى فهو من جهة ما تفيده أداة النداء من فائدة غير النداء فإن أفادت فائدة وجدت في المُنادى قبل دخولها إمتنع دخولها عليه ومن ذلك إمتناع دخول "يا " النداء على ما فيه " أل " لأن الألف واللام لتعريف المعهود و " يا " تعرِّف بالقصد والخطاب ،ولا يجتمع على اسم واحد تعريفان ⁽٣٩⁾، فإن أفادت فائدة لم توجد في المنادى قبل دخولها عليه وجب دخولها وامتنع حذفها إذ قالوا: ((أن "يا" والقصد متلازمان في المنادى المبني فـ" يا " أحد جزءي أداة التعريف، وهذا إنما يُحتاج إليه فيما لم يتعين والألف واللام تعين)) ⁽٤٠⁾ وقوله " يُحتاج إليه فيما لم يتعين " يُريد به النكرة من القسم المبني من المنادى. وهو عينه الذي أسماه التداوليون بـ" الإحالة " وحدوه بأن ((عدم اقتران المنادى بأداة ممتنع حين يَردُ المنادى نكرةً، أي عبارة غير محيلة سواءٌ أكان مفردًا أم شبيهًا بالمضاف.)) ⁽٤١⁾

والأساس الرابع الذي قال به النحاة القدماء في دخول أداة النداء في التركيب النحوي هو الأساس البنائي الصرفي، ومن ذلك ما قيل في باب يكون النداء فيه مضافًا إلى المنادى بحرف الإضافة وهذا إنما يكون في الاستغاثة والتعجب وحرف الإضافة هي اللام المفتوحة إذ لا تدخل على هذا الحرف من أدوات النداء إلا " يا " لأنهم أرادوا أن يميزوا باب النداء الذي يقبل جميع أدوات النداء من باب الاستغاثة والتعجب فقالوا: ((لا يدخل على هذه اللام المفتوحة من حروف النداء إلا " يا " وحدها ؛ للفصل بين ما دخلت عليه لغير معنى استغاثة أو تعجب وبين مادخلت عليه لاستغاثة وتَجُّب ؛ لأنه كالأصل في النداء، وهو الكثير الفاشي))⁽٤٢⁾، ولا يجوز حذف أداة الاستغاثة أو التعجب " يا " كما جاز

سقوطها من الاسم الذي لا لام فيه نحو قوله تعالى: ((قال رَبِّ اغفر لي)) ⁽⁴³⁾ وقوله تعالى إذ يُحدث سقوطها لبس بلام الابتداء ⁽⁴⁴⁾. ومنه ما قيل في باب ما لا يجوز أن يندب، فليس كل ما جاز نداؤه جاز ندبُه بـ" وا " أو " يا " فلا يجوز ندب إلا المعرفة، فلا تُندب النكرة، ولا المُبهم: كاسم الإشارة، ولا الاسم الموصول، إلا إن كان خاليا من " أل " واشتهر بالصلة ، كقولهم " وَا مَن حَفَرَ بئر زَمْزَمَاهْ " ⁽⁴⁵⁾، وعلة ذلك عندهم أن أصل الندبة هو ((حزن وبكاء ونَوحٌ على الفائت لا عوض منه، من فضل وإحسان وشجاعة وقيام بأمر لا يقوم بمثله غير المندوب. وظهور البكاء والحزن والنَّوْح ضَعْفٌ ممن يظهر ذلك منه. فهم محتاجون إلى تعظيم الأمر الذي حزنوا له وبكوا عليه، ليكون عذرًا. فلا يحسن أن يأتوا من اللفظ بما لا يُعْرف، وما ليس بعَلَمٍ موضوع له من الأسماء)) ⁽⁴⁶⁾، ومنه أيضا ما جاء من أقوال في نعت " ايٌّ" التي يؤتى بها لنداء ما فيه " ال " إذ يشترط النحاة أن توصف " أيٌّ " بأحد ثلاثة أشياء: ((الأول: مصحوب " ال " نحو: يا أيُّها الرجلُ ". والثاني: اسم الإشارة ... والثالث: الموصول المصدّر بـ" أل " نحو " يا أيُّها الذي فعلَ ... فلا يقال: يا أيُّها صاحبُ عمرٍو.)) ⁽⁴⁷⁾، وكذا الأمر مع اسم الإشارة إن جُعِل وصلة لنداء ما فيه " أل " فإنه يساوي " أيًّا " في لزوم نعته، ووجوب رفعه، وأنّه لا يُنعت إلا بمصحوب " أل " الجنسية، أو بموصول مُصدَّر بـ" أل "، فتقول: يا هذا الرجلُ، ويا هذا الذي فعلَ، فهو غير مُكتفّى به، ولو قُدر الوقف عليه لفات المراد ،لأنه وصلة لنداء غيره هذا على وجه. وعلى وجه آخر يقدر فيه أنّه مُكتفى بندائه، لا وصلة لغيره فعند ذاك يباين " أيًّا " فلا يلزم نعته، ويجوز رفعه ونصبه، وينعت بمصحوب " أل " وبالمضاف. فتقول: يا هذا الطويلُ َ، بالرفع والنصب⁽⁴⁸⁾. فمراد المتكلم وقصده هو الحكم في هذه المسألة.

والتساوق هو المصطلح الذي أطلقه التداوليون على هذا الأساس المتحكم في دخول أداة النداء في التركيب النحوي وعدمه وأرادوا به ((إمكان توارد عنصرين أو أكثر من عنصرين في سياق صرفي تركيبي واحد)) ⁽⁴⁹⁾ موضحين ذلك بإدماج الأداة " أيُّها " ـ وهي أداة نداء عندهم ـ في القاعدة الآتية:

﴿نداء﴾ ﴿ = أيها – ﴾

حيث ﴿ = اسم – علم + معرفة ﴾ / ﴿ الذي ...﴾.

فإدماج الأداة " أيها " عندهم يتمُّ في أحد السياقَين: سياق السم غي العلم المُعرَّف وسياق الجمُلة التي يرأسها موصول فئة " الذي " ـ ما فيه " أل " ـ دون فئة " من " ـ ما خلى من " أل " ـ ⁽⁵⁰⁾.

وقد حكّم التداوليون أساسًا خامسًا في إدماج أدوات النداء في التركيب النحوي هو الرتبة، وأرادوا بها رتبة المُكون المنادى وتأثيرها في توزيع أدوات النداء، فتأخر المُنادى أي وقوعه بعد الخبر أو في وسط الخبر يستوجب اقترانه بإحدى أدوات النداء ،نحو قولك: "سنسافر معًا غدًا، يا خالد ." وقولك: " سنسافر معًا، يا خالد، غدًا " ⁽⁵¹⁾، ويكون حذف الأداة ، أو بعبارة أخرى دخول الأداة صفر " Ø "

في مثل هذه المواضع عندهم ذا مقبولية دنيا إزاء بقاء أداء النداء فيها .وتفسير ذلك عندهم أن ((الأصل في النداء استرعاء انتباه المخاطب، وبالتالي تقديمه على الخطاب نفسه، وان أصلية تقديمه تُغني عن التدليل عليه بإحدى أدواته... أن نتوقع وجوب التأشير إلى المكون المُنادى بواسطة أداة يتنامى بتنامي ابتعاده عن الموقع الصدر الأصل)) (٥٢).

وعلى الرغم من أن النحاة القدماء لم يتناولوا رتبة المنادى في التركيب وأثرها فيه صراحة إلا أنّنا يمكن أن نستشف من الأمثلة التي وردت في كتبهم على بعض موضوعات النداء من مثل قوله تعالى :((قُلِ اللّهُمَّ فَاطِرَ السَّموَاتِ وَالأَرضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ)) (٥٣) وقوله تعالى: ((قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ)) (٥٤)، وقول العرب في الأمثال: " افتَدِ مَخنوقُ " (٥٥)، و " أصبح ليلُ " (٥٦)، و"أطرقْ كرا" (٥٧) التي استشهد بها النحاة على حذف أداة النداء من المنادى المعرفة و اسم الجنس لمعين (٥٨). أنه يجوز أن تحذف الأداة من المنادى وإن وقع في منتصف الكلام أو جاء في آخره أي بعد الخبر، وهذا سائغ عندهم غير مرغوبة عنه بدليل وروده في القرآن الكريم والمثل العربي القديم.

٢- المنادى

العنصر الثاني في تركيب الجملة الندائية هو الاسم الذي يقع بعد أداة النداء أو ما يدعى بالمنادى سواء كان النداء نداءً محضًا أو كان النداء غير محض أي يخرج إلى معنى الاستغاثة أو الندبة، فالمنادى عند ذاك يكون مستغاثًا به، أو مندوبًا متفجع عليه أو متوجع منه.

المتقدمون من النحاة العرب لم يعرفوا المنادى واكتفوا بذكر أنواعه من جهة سمات إحالية من مثل كونه معرفةً علما أو مضافًا ومضاف إليه أو شبيهًا بالمضاف أو نكرة مقصودة أو غير مقصودة أو كونه مبهمًا ـ اسم إشارة أو " أيّ " ـ وتدخل هذه السمات في تحديد نوع إعرابه فيكون مبنيًا على ما يرفع في محل نصب إذا كان المنادى معرفةً علمًا أو نكرة مقصودة أو مبهمًا، ويكون منصوبًا إذا كان مضافًا ومضاف إليه أو شبيهًا بالمضاف أو نكرة غير مقصودة مع تقديمهم العلل في تباين الأوجه الإعرابية للمنادى باختلاف أنواعه (٥٩). وتابع بعضُ المتأخرين المتقدمين في هذا الأمر (٦٠).

على أن بعض النحاة العرب قد ميز بين النداء كفعل لغوي وبين المنادى الذي يأتي بعد أداة النداء ويحيل على الذات فقالوا: النداء هو ((دعاءُ المخاطب ليُصغِي إليك)) (٦١)، وقيل هو: ((رفع الصوت للمنادى ليقبل عليك)) (٦٢) وهذا يعني أن النداء شيء والمنادى شيء آخر وهذا يتعزز أيضا عندما نجدهم يعرفون النداء هذا الفعل اللغوي عندما يأتي لوظيفة أخرى غير النداء المحض كأن تكون استغاثة أو ندبة إذ يقولون: في إعراب الاستغاثة مثلا ((إذا استُغيثَ اسمُ مُنادىً ليُخَلِّص مِنْ شِدَّةٍ أو يُعِينَ على دَفِ مَشَقَّةٍ خفِضَا)) (٦٣) أو قولهم هي: ((دعاء المُستنصِر المَستنصَر به، والمُستَعِين المُستَعَانَ به

... فالداعي مستغيث، والمدعو مستَغَاث)) (٦٤) فالخطاب والفعل الخطابي واضح هنا وطرفاه المتكلم أو المخاطب و المستَغيث أو الداعي والمُخاطَب وهو المُستَغَاث أو المدعو، وقولهم في الندبة هي: ((إعلان المُتَفَجِّع باسم مَنْ فَقَدَهُ لَمَوْتٍ أو لِغَيْبَةٍ)) (٦٥) فهم يدركون أن النداء كفعل لغوي بأنواعه المختلفة الوظائف يختلف عن المنادى لذا تجدهم يعرفون المنادى بأنه: ((المطلوبُ إقبالهُ بحرف نائب مناب أدعو لفظًا أو تقديرًا)) (٦٦) على أنهم هنا يخرجون بقولهم " المطلوبُ إقبالهُ " المندوب لأنَّه ليس مطلوبًا إقباله (٦٧)، وهذا يؤكد إدراك النحاة العرب لِمَا يعنيه المنادى والوظائف التي يمكن أن يقوم بها وتفريقهم للمنادى إذا جاء في النداء المحض أو جاء في نداء غير محض كالاستغاثة والندبة حتى أنهم خصّوا المُستَغَاث به بتعريف خاص به فقالوا هو((كلُّ اسم نُودِيَ ليُخلِّص من شدة أو يُعينَ على دَفْع مَشَقَّة)) (٦٨)، وقالوا في المندوب هو: ((المّذْكُورُ بَعْدَ " يا " أو " وا " تَفَجُّعًا لِفَقْده حَقِيقَةً أو حُكْمًا أو تَوَجُّعًا ؛ لكونه مَحَلَّ ألَمٍ أو سَبَبَهُ، ولا يكون اسم جنس مُفْردًا ولا ضَميرًا، ولا اسمَ إشارةٍ ولا مَوصُولا بِصَلةٍ لا تُعَيِّنُهُ)) (٦٩) وهذا التميز في تعريف المنادى الذي يأتي في النداء المحض وفي غير المحض ناشيء من إدراك النحاة للوظائف المختلفة التي يؤديها أو يأتي لها المنادى إن كان منادى غير مندوب أو غير مستغاث أو كان منادى مستغاث أو منادى مندوب.

وهو ما فعله التداوليون إذ ميزوا بين النداء كفعل لغوي (speech act)شأنه شأن الأفعال اللغوية الأخرى كالإخبار، والاستفهام والأمر والوعد والوعيد، والمنادى كوظيفة أو علاقة تُسند إلى أحد مكونات الجملة ويأتي المنادى بعد أداة النداء ويحيل إلى الذات المخاطبة وعادة تُسند وظيفة المنادى ((إلى العنصر الذي يشكل محط النداء في الجملة)) (٧٠)، فإن كان هذا التعريف عرف المنادى بشكل مجمل وجعله محط النداء في الجملة من غير أن يحدد موقع هذا المكون في الجملة، فإنّ التعريف القائل إنّ المنادى هو((المكون الخارجي الذي يسبق الجُملة أو يليها أو يتخللها مؤشرًا بكيفية صريحة إلى أن الخطاب موجّه إلى الشخص المحال عليه بعبارة النداء)) (٧١)، قد حدد موقع المنادى في الجملة فهو إمّا أن يسبقها أو يليها أو يتخللها ، ومن موقعية المنادى في الجملة أوجد التداوليون للمنادى في النداء العادي بوصفه فعلا خطابيًا وظائفَ وهي: الاسترعاء وهذه الوظيفة تتحقق عندما حيمنا يستهل المتكلم الخطاب بالنداء العادي فإنه يقوم بعملية انتقاء للمنادى أو المخاطب الذي ينوي توجيه الكلام إليه فيكون النداء في بداية الجملية هو وسيلة استرعاء له (٧٢) ،ولم يغب هذا الأمر عن النحاة العرب القدماء فإلى هذا الأمر أشار سيبويه إذ يقول: أن النداء ((أوّلُ كلِّ كلام لك به تَعطف المكلَّم عليك)) (٧٣)، ولا يُترك النداء إلا بإقبال المُنادَى على المُنادِي(٧٤)، ذلك أن المُنادَى: ((مختصٌّ من بين أُمّته، لأمرك ونَهيك أو خَبَرِك)) (٧٥)، وهذا يعني أن النداء تخصيصٌ وتنبيهٌ لمن قد يكون معنيًا بالكلام بعده سواء كان خبرًا أو

أمرًا أو نهيًا ... (٧٦) .

والحفظ والتعيين هي الوظيفة الثانية للنداء وتتحقق هذه الوظيفة حينما يورد المتكلم النداء في ثنايا خطابه فهو يبغي من ذلك التنبيه على أنه مازال مستمرًا في التواصل مع المُخاطب الذي يكون غالبًا قد انتقاه، فيعامل المنادى كما تُعامل العبارات الحوافظ الضامنة لاستمرار عملية التخاطب (٧٧).

والتخصيص والتصحيح هي الوظيفة الثالثة للنداء وتتحقق عندما يأتي المنادى بعد تمام الخطاب لأنّه يرد به تعيين المخاطب إمّا بتخصيصه أو تصحيحه. ويحصل ذلك في مقامين، مقام التباس المخاطب أو إمكان تعدُّده ومقام الخطأ في انتقائه (٧٨) ولا ألطف من تعبير سيبويه عن هذا الأمر عندما يدخل النداء في نهاية الكلام ليحقق أسلوبًا جديدًا في الخطاب وهو الإختصاص إذ يقول : ((قولك: أمّا أنا فأفعلُ كذا وكذا أيُّها الرجل ...، وأردت أن تَختَصّ ولا تُبْهِمَ حين قلت: أيّتُها العصابةُ وأيُّها الرجلُ، أراد أن يؤكد لأنّه قد اختصّ حين قال أنا، ولكنّه أكّد كما تقولُ للذي هو مقبلٌ عليه بوجهه مستمعٌ منصتٌ لكَ: كذا كانَ الأمر يا أبا فلان، توكيدًا. ولا تُدْخِل يا هاهنا لأنك لست تنبِّه غيرَكَ. يعني: اللهمّ لنا أيَتها العصابة)) (٧٩)، فالنداء الواقع في نهاية الكلام في قوله: "كذا كانَ الأمرُ يا أبا فلان " غايته التوكيد لا التنبيه لأن المنادى مقبل على المتكلم بوجهه مستمعٌ له، وهذا يعني أن المخاطَب أو المنادى قد تمّ تعينه وتحديده مسبقًا فهو ليس بحاجة إلى التنبيه ولكن بحاجة إلى التوكيد هذا التعيين .

وإن كنت لا أستبعد أن تكون الوظائف الثلاث التي أسندت إلى النداء مقبولة عقلاً إلا أنني أرى أن ارتباط تحقق هذه الوظائف بالموقع الذي يأتي به المُنادى في الخطاب ـ ابتداءً أو حشوًا أو نهايةً ـ فيه من المغالاة ما لا تخفى فالخطأ في تنبيه المُنادى الذي يقتضي التصحيح قد يقع في أو الكلام فهو لا يرتبط بآخر الكلام فقط وكذلك تخصيص المُنادى من بين عدة أشخاص يمكن أن يوجه لهم الخطاب قد يكون في أول الكلام كما يمن أن يكون في آخره، وكل هذه الوظائف لا تخرج عن كونها تنبيه للمُخاطَب كونه المعني بالكلام دون سواه سواء كانت استرعاءً أو حفظًا وتعيينًا أو تخصيصًا أو تصحيحًا.

أما الوظيفة في النداء غير العادي أي في الاستغاثة والندبة فقد كان التداوليون بين اثنتين، وهو أن تُعد الاستغاثة والندبة وظيفتين تُسندان إلى فعل خطاب كما هو شأن الوظائف الثلاث المسندة إلى فعل خطاب النداء، أو تُعدان فعلين خطابيِّين قائمين بذاتهما مع ميلهم إلى الافتراض الثاني لأمور منها(٨٠):

١- ثمة فرق بين النداء كفعل خطابي وبين وظيفته، إذ يمكن أن يؤيدي أي وظيفة من هذه الوظائف، أمّا الندبة والاستغاثة فلا يمكن أن تكونا إلا ندبة أو استغاثة .

٢-للنداء صيغ متعددة تختلف أدوات وإعرابًا باختلاف سمات تشتمل على وظيفته، أمّا الندبة

والاستغاثة فلا تمتلكان إلا صيغة واحدة ثابتة.

٣- لا يسوّغ إسناد وظيفة من الوظائف إلى فعل خطابي ما إلا إذا كان هذا الفعل الخطابي تابعًا لفعل خطابيّ آخر نوويِ يوارده في القطعة الخطابية نفسها، يتقدمه أو يتلوه.

وقد أدرك النحاة العرب القدماء أن وظيفة الاستغاثة والندبة هي غير وظيفة النداء ـ التنبيه ـ فالاستغاثة وإن تضمنت معنى الدعاء أو النداء للمنادى: ((ليخلص من شدة أو يعين على دفع مشقة)) (٨١) فهي: ((دعاء المُستنصِر المُستَنْصَرَ به، والمُستَعِين المُسْتَعان به)) (٨٢)، ولا أجمل ولا أروع من إدراك النحاة العرب القدماء للوظائف التي تؤديها الصيغ والتراكيب النحوية وإن تشابهت هذه الصيغ واختلفت الوظيفة فتراهم في أسلوب الاستغاثة والتعجب يدركون أن الاسم الذي تأتي قبله اللام مكسورة ليس منادى على الحقيقة وغير مطلوب اقباله فهو ((مدعوٌّ له ها هنا وهو غيرُ مَدْعوٍّ)) (٨٣)وللننظر إلى تعليق سيبويه على البيت القائل:

❖يا لقومي لِفرْقةِ الأحبابِ (٨٤) ❖

إذ يقول ((كَسَروها لأن الاسم الذي بعدها غيرُ منادًى، فصار بمنزلة إذا قلت هذا لزيد. فاللام المفتوحةُ أضافت النداء إلى المنادى المخاطَب، واللامُ المكسورة أضافت المدعوَّ إلى ما بعده لأنه سببُ المَدعوّ. وذلك أنّ المَدعوّ إنّما دُعِي من أجل ما بعده، لأنّه مَدعوٌّ له)) (٨٥)، فهو يميز بين المُنادَى أو المَدعوّ أو المستغاث به الذي تتصل به اللام المفتوحة وبين المُنادَى له أو المَدعوّ له أو المستغاث له وهو الذي تتصل به اللام المكسورة والذي تقو من أجله وظيفة الاستغاثة أو التعجب.

الندبة التي تتضمن المندوب الذي هو مَدعوٌّ وهو ((المذكور بعد " يا أو " وا " تَفَجُّعًا لَفقْدِه حقيقةً أو حُكمًا أو تَوَجُّعًا ؛ لكونه مَحَلَّ ألم أو سببه)) (٨٦)، فالندبة هي ((إعلان المتفجع باسم من فقده بموت ،أو غيبة كأنّه يناديه ... والقصد الإعلام بعظمة المصاب))(٨٧) ولنركز على قوله " كأنّه يناديه " هذا يعني أنه ليس منادى حقيقة، و يبدو أن سيبويه أدرك أن هذه الصيغة التي تؤدى بطريقة إنشائية تؤدي معنى خبريًا إذ تراه يقول مستدركًا: ((إعلم أنّ المندوب مَدعوّ ولكنّه متفجَّعٌ عليه)) (٨٨)، وعبارته أكثر تصريحًا بخبرية الندبة في معرض حديثه عن كراهة ندبة النكرات من الكلمات: ((وإنّما كرهوا ذلك أنّه تفاحش عندهم أن يحتلطوا وأن يتفجَّعوا على غير معروف. فكذلك تفاحش عندهم في المبهَم لإبهامه ؛ لأنّك إذا ندبت تُخبرُ أنّك قد وقعت في عظيم، وأصابك جسيمٌ من الأمر، فلا ينبغي لك أن تُبهم.)) (٨٩).

إعراب المنادى

للنحاة العرب القدماء رؤى مختلفة في إعراب المنادى، وأولى هذه الرؤى هي تفسير سيبويه لإعراب المنادى فـ ((كلُّ اسمٍ مضاف فيه فهو نصبٌ على إضمار الفعل المتروك إظهاره. والمفرَد رفعٌ في

موضع اسم منصوب)) (٩٠)، فالنداء عند سيبويه هو حرف يصوت به للتنبيه و((منادى منصوب على الفعل المتروك إظهاره ...والفعل المتروك إظهاره إنّما حذف لكثرة الاستعمال ،و هو عند سيبويه مقدر بعد حرف التنبيه، فلما حذف الفعل صارت " يا " بدلا منه ولفظًا دالا على معناه)) (٩١)، والموجب لترك إظهار الفعل هو كثرة الاستعمال، ووقوع حرف يدل عليه، وليس المعنى بكثرة الاستعمال في ذلك، أنهم تكلّموا به على الأصل ثم خففوه، لأن ذلك يستلزم وجوده في كلامهم كذلك كثيراً، وإنّما المعنى أنه علموا أنَّه يكثُر استعماله ففعلوا ذلك به من أوّل مرةٍ (٩٢). ويمكن أن نعدّ أن سيبويه يمثل لجملة النداء بمايلي بحسب المراحل :

١- يا أريد عبدَ اللهِ، وهو تمثيل لم يتكلم به أحدٌ، لأن الفعل " أريد " متروك إظهاره.

٢- يا 0 عبدَ اللهِ: حذف الفعل ("أريد " 0) وترك إظهره لكثرة الاستعمال .

٣- يا عبد الله: صارت " يا " بدلا من اللفظ بالفعل (٩٣).

على أن سيبويه تبنى رأي شيخه الخليل في تفسير رفع الاسم المفرد ونصب الاسم المضاف تشبيها بنصب ((قَبْلَكَ وهو بَعْدَكَ. ورفعوا المفرد كما رفعوا قَبْلُ وبَعْدُ وموضعهما واحد، وذلك قولك: يا زيدُ ويا عمرو. وتركوا التنوين في المفردَ كما تركوه في قَبلُ)) (٩٤) وعضهم جعل العلة في رفع المفرد أنّه واقع موقع ألفاظ الخطاب ـ أسماءً أو حروفًا ـ وألفاظ الخطاب مبنية فكان المفرد في النداء مبنيًا (٩٥).

والرؤية الثانية التي فسرت إعراب المنادى فهي رؤية المبرد إذ يرى أن المنادى المضاف منصوب، وانتصابه ((على الفعل المتروك إظهاره. وذلك قولك: ياعبدَالله ؛ لأنَّ (يا) بَدَل من قولك: أدعو عبدَ الله، وأُريد، لا أنَّك تُخبر أنَّك تَفْعَلُ، ولكن بها وقع أنَّك قد أوقعت فعلا. فإذا قلت: يا عبدَ الله، فقد وقع دعاؤك بعبد الله، فانتصب على أنَّه مفعول تعدَّى إليه فعْلَك. وكذلك كلُّ ما كان نكرة ؛ نحو: يا رجلا صالحًا، ويا قومًا منطلقين، والمعنى واحد.))(٩٦) فالمبرد وإن جعل الناصب للمنادى هو الفعل المتروك إظهاره، فهو جعل "يا " بدلا من الفعل وجملة "يا عبدَ الله" مساوية لقولك " أدعو عبد الله " أو " أُريد عبدَ الله " مع لحاظ فرق دلالي بينهما وهو أن الأخرتين تتحملان معنى الإخبار بأنك تدعو عبد الله أو تريده، في حين أن الأولى متفرغة لمعنى الإنشاء وخالية من معنى الخبر وهو ما أراده بقوله: " لا أنَّك تُخْبر أنَّك تَفْعَلُ، ولكن بها وقع أنَّك قد أوقعت فعلا " .أمّا إذا كان المنادى واحدًا مفردًا معرفة ((بني على الضم، ولم يلحقه تنوين ؛ وإنّما فُعِل ذلك به ؛ لخروجه عن الباب، ومضارعته ما لا يكون معربًا)) (٩٧)، وأراد بذلك قولك: يا زيدُ، فالعلم حقه أن تُخبربه واحد عن واحد غائب، والمخبر عنه غيره، فعندما تقول: قال زيد، فزيد غيرك وغير المخاطب، فلما قلت: يا زيدُ خاطبته بهذا الاسم، فادخلته في باب ما لا يكون إلا مبنيًا (٩٨)

وزعم بعض النحاة أن الناصب للمنادى المضاف هو أدوات النداء أي " يا " واخواتها على أنها أسماء أفعال (٩٩).

وجميع الرؤى العربية لتفسير إعراب المنادى لا تخرج عن كونه منصوبًا على المفعولية، فالمحل الإعرابي له هو النصب ،وإن ظهر على سطح المنادى الرفع فهو بناء له على ما يرفع به نتيجة تدخل محددات إحالية هي (المعرفة، والنكرة المقصودة) ويبقى محله النصب .

تبنى التداوليون أطروحة النحاة العرب القائمة على أن المنادى في محل نصب إلا أنهم لم يرجعوا النصب في المنادى إلى فعل مُقَدَّر من قبيل " أدعو "، وأعادوه إلى وظيفة المنادى التداولية نفسها[١٠٠]، وذلك لأن تحليل نحاة العرب القدماء لإعراب المنادى يبتعد عن الحدس الطبيعي وتكلفه وخرقه البيِّن لمبدأ الواقعية النفسية، فإعراب النصب " العميق " المسند إلى المنادى بحكم وظيفته يتحقق سطحًا بإحدى العلامتين الإعرابيَّتين الفتح والضم طبقًا لمحددات إحالية (معرفة / نكرة مقصودة، نكرة غير مقصودة) ومُحددات بنيوية (مضاف، شبيه بالمضاف) (١٠١) .

على أن التداوليين قدموا اقتراحًا بديلا لتفسير الإعراب في النحو فكان الإعراب عندهم إعراب محل عميق، وإعراب لفظ سطح، وإعراب المحل ينقسم على قسمين، إعراب أصل وإعراب فرع وهذا الأخير ينقسم على قسمين إعراب مطابقة للفضلات المتصلة وإعراب إرث (البدل)، في حين إعراب الأصل ينقسم على قسمين هو الآخر، إعراب موسوم ونصيبه النصب في المفعولات والفضلة المنقطعة التابعة، وإعراب غير موسوم ونصيبه الرفع في النواة والربض، والفضلة المنقطعة غير التابعة المستقلة والمستأنفة (١٠٢).

ووفقًا لهذه النظرية قدموا ثلاثة تفسيرات لإعراب المنادى، أولها كان نظرية النحاة العرب القدماء لإعراب المنادى، فالنصب هو الإعراب العميق للمكون المنادى، في حين يُعد بناء المنادى على ما يرفع به هو إعرابًا سطحيًا تسنده سمات بنيوية مُعينةٌ (١٠٣). وهذه النظرة لإعراب المنادى لا تنسجم مع الإقتراح البديل لإعراب المنادى الذي قدمه التداوليون فهم يعدون النداء من الأرباض وحق الربض هو الرفع لا النص عندهم.

والثاني: أن يُعدُ إعراب المنادى مبنيًا على ما يرفع به هو تسطيحًا لإعراب عميق هو الرفع، وبهذا فهم يدرجون هذا القسم من إعراب المنادى مع الإعراب غير الموسوم المسند إلى الربض. (١٠٤) ويتجاهل هذا التفسير إعراب القسم الثاني من المنادى وهو الإعراب بالنصب أو إعراب المحل، إلا إذا كان للمنادى- عند التداوليين - ووفقًا لهذا التفسير إعرابان، النصب والرفع.

والثالث: يمكن أن يُعد إعراب المُنادى (بناء كان أم نصبًا) إعرابًا صرفيًا- تركيبيًا محضًا يخصُّه،

إعرابًا يُسند إليه سواءٌ أَوَرَدَ ربضًا أم ورَدَ مُنفردًا دون خطاب يتلوه أو يسبقه (١٠٥). ولا أعرف بم إختلف هذا التفسير عن التفسير الأول وهو التفسير العربي !.

الخاتمة:

خرج البحث بمجموعة من النتائج من أهمها:

١. اختلف عدد أدوات النداء عند التداوليين عنه عند النحاة قديمًا، فجاء العدد أقل وذلك يرجع إلى أن منهجهم لا يقوم على ما في التراث اللغوي كله، ولكن يقوم على ما هو متداول وتنحية ما جاء في التراث اللغوي مما هو غير متداول في الكلام وقت الدراسة، لذا تراهم مثلا يميلون تقليص أدوات النداء وجعلها محصورة بالأدوات " أيها، و " يا " و " أ ".

٢. وجدنا أن دراسة التداوليين للنداء تقوم على أساس دراسة التراكيب الندائية المتداولة بين الناس في اللغة المعاصرة أي بين المتكلم والمخاطب، وجاءت قواعدهم للبنى التركيبية للنداء استقراءًا لهذا المتداول وهو ما لا يختلف عمّا فعله النحاة قديمًا وإن كانت الشواهد المفردة قد تؤثر على كثرة قواعدهم النحوية وتعدد تفريعاتها.

٣. استحداث أدوات نداء جديدة عند التداوليين ناشيء من أمرين، الأول: هو رفضهم القول بالحذف في أداة النداء، والثاني: ناشيء من حدهم للمكون المنادى واشتراطهم فيه أن يحيل على كائن حي.

٤. وجدنا أن قول التداوليين بأن النحاة العرب القدماء لم يحكموا في إدماج أدوات النداء في التركيب النحوي وتوزيعها فيه إلا وسيط المسافة بعدًا وقربًا غيرَ سليم، إذ وجدناهم يحكمون أسسًا أخرى غير وسيط المسافة وهي ،الوظيفة النحوية للأداة، و المكون البنائي الصرفي للمنادى وتابعه، و فائدة أداة النداء.

٥. ميّز النحاة العرب بين النداء بوصفه فعلا لغويًا وبين المنادى الذي هو عنصر في تركيب الجملة الندائية وهو شأن التداوليين كذلك.

٦. الوظائف التي أسندها التداوليون إلى المنادى بحسب موقعه من الكلام والخطاب وجدنا أن النحاة العرب القدماء قد قالوا ببعضها.

٧. لم تكن جميع الوظائف التي أسندها التداوليون للمنادى بحسب موقعه من الكلام والخطاب تخضع للمنطق أو الاستقراء الدقيق إذ لا يمتنع أن تسند الوظيفة عينها إلى المنادى سواء أجاء في أول الكلام أو في آخره إذ يحتمل الموقعان الوظيفة نفسها .

٨. قدم التداوليون تفسيرات لإعراب المنادى لم يخرج بعضها عن تفسير النحاة العرب القدماء وإن خالفوهم في القول بالناصب للمنادى.

٩. عجزت بعض التفسيرات التي قدمها التداوليون لتفسير إعراب المنادى أن تقد تفسيراً شاملا كاملا له فوقفت على قسم من أقسامه دون الآخر.

هوامش البحث

١ - كتاب سيبويه: ٢/ ٢٢٩.
٢ - المصدر نفسه: ٢/ ٢٣١، وينظر: شرح اللمع في النحو: القاسم بن محمد الضرير: ١٥٤.
٣ - حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: ٢٥٥/٣.
٤ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش: ٧/ ٣٥٢٦.
٥ - ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: د. أحمد المتوكل :١٦٦.
٦ - ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٦٧، ومسائل النحو العربي في قضيايا الخطاب الوظيفي: د. أحمد المتوكل: ١١١.
٧ - ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٦٧، ومسائل النحو العربي في قضيايا الخطاب الوظيفي: ١١١.
٨ - الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٦٤.
٩ - كتاب سيبويه: ٢/ ١٨٨-١٩٠.
١٠ - ينظر المصدر نفسه: ٢/ ٢١٢.
١١ - المصدر نفسه: ١٩٧/٢.
١٢ - ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٩٧-١٩٨.
١٣ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٥٢٦.
١٤ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : ابن هشام الأنصاري: ٣/ ٧٢-٧٤.
١٥ - الإيضاح في شرح المفصل: أبو عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب: ١/ ٢٨٦-٢٨٧.
١٦ - يوسف: من آية ٢٩.
١٧ - الأعراف: من آية ١٥١.
١٨ - ينظر : شرح الألفية لابن مالك: الحسن بن القاسم المُرادي: ١/ ٦٤٧.
١٩ - ينظر: مسائل النحو العربي في قضيايا الخطاب الوظيفي: ١١١-١١٢.
٢٠ - ينظر المقتصد في شرح الإيضاح: الجرجاني: ٢/ ٧٧٦-٧٧٧.
٢١ - المقتضب: المبرد: ٤/ ٢٣٩.
٢٢ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي: ٥٠٧، و: رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي: ٤٧٢.
٢٣ - الجنى الداني في حروف المعاني: ٥٠٧، وينظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني : ٤٧٢.
٢٤ - المقتضب : ٤/ ٢٣٣.
٢٥ -شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٢/ ٨٠.
٢٦ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ٣/ ٩٥.

٢٧ - شرح جمل الزجاجي: ٢/ ٨٠.
٢٨ - ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١١٠.
٢٩ _ أوضح المسالك: ٣/ ٧٠ .
٣٠ - شرح جمل الزجاجي: ٢/ ٨٠.
٣١ - شرح الكافية الشافية: ابن الحاجب: ٣/٢، وينظر: همع الهوامع/ السيوطي: ٣/٣٢-٣٣.
٣٢ - شرح جمل الزجاجي: ٢/ ٨٠.
٣٣ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٥٢٦.
٣٤ - ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ٢٢٩-٢٣٠
٣٥ - ينظر المقتضب: ٤/ ٢٣٣.
٣٦ - ينظر: شرح الكافية الشافية: ٢/ ٣.
٣٧ - مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١١١.
٣٨ - ينظر: المصدر نفسه: ١١١-١١٢.
٣٩ - ينظر: التّبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين / أبو البقاء العكبري: : ٤٤٤.
٤٠ - المصدر نفسه: ٤٤٧.
٤١ - مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١١٢.
٤٢ - شرح كتاب سيبويه / أبو سعيد السيرافي: ٨/ ١٢.
٤٣ - الأعراف :من آية ١٥١.
٤٤ - ينظر: شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي: ٨ / ١٢.
٤٥ - شرح ابن عقيل: بهاء الدين بن عقيل: ٢/ ٢٥٨.
٤٦ - شرح كتاب سيبويه: أبو سعيد السيرافي: ٨ / ١٩-٢٠.
٤٧ - شرح الألفية لابن مالك: ١/ ٦٦٣.
٤٨ - ينظر :المصدر نفسه: ١: ٦٦٥-٦٦٦، وشرح ابن عقيل: ٢/ ٢٤٦.
٤٩ - مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١١٣.
٥٠ - ينظر: المصدر نفسه: ١١٣.
٥١ - ينظر: المصدر نفسه: ١١٣.
٥٢ - المصدر نفسه: ١١٣.
٥٣ - الزمر: ٤٦.
٥٤ - آل عمران: ٢٦.
٥٥ - مجمع الأمثال: الميداني: ٢/ ٤٥١ .
٥٦ - المصدر نفسه: ٢٣٢/٢ .
٥٧ - المصدر نفسه: ٢٨٥/٢ .

٥٨ - ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ٢٣١، والمقتضب :٢٦١/٤، وشرح كتاب سيبويه: أبوسعيد السيرافي: ٨/ ٣٧، والنكت في تفسير كتاب سيبويه: الأعلم الشنتمري :١/ ٢٨٩ ، و والإيضاح في شرح المفصل: ١/ ٢٨٨-٢٩١.

٥٩ - ينظر: كتاب سيبويه: ٢/ ١٨٢-١٩٣، والمقتضب: ٤ / ٢٠٢ -٢٣٣.

٦٠ - ينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه: ١/ ٢٧٢-٢٧٤، وشرح الألفية لابن مالك: ١/ ٦٤٨-٦٥٢، وشرح قطر الندى وبل الصدى / أبو محمد عبد الله
جمال الدين بن هشام الأنصاري :٢٨٠-٢٨٤،

٦١ - شرح جمل الزجاجي : ٢/ ٨٠.

٦٢ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٥٣٠.

٦٣ - البهجة المرضية على ألفية ابن مالك / جلال الدين السيوطي: ٢/ ١٠٠.

٦٤ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٥٩١.

٦٥ - البهجة المرضية على ألفية ابن مالك: ٢/ ١٠١-١٠٢.

٦٦- الإيضاح في شح المفصل: ١/ ٢٤٩، وينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٥٣٠ .

٦٧ - ينظر: الإيضاح في شرح المفصل : ١/ ٢٤٩.

٦٨ - شرح قطر الندى وبل الصدى: ٣٠٢.

٦٩ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٦٠٣.

٧٠ - اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي " الأسس المعرفية والديداكتيكة " / علي أيت أوشان: ٦٤.

71 - The Theory of Functional Grammar, The structure of the clause. Second. Revised edition. Edited by Kees, Hengeveld. Berhin: Moton de Gruyter, 1997: 385.
نقلا عن مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي: ١٠٥.

٧٢ - ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١٠٦.

٧٣ - كتاب سيبويه: ٢٠٨/٢ .

٧٤ - ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ٢٠٨.

٧٥ - المصدر نفسه: ٢/ ٢٣١-٢٣٢.

٧٦ - ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: د. خالد ميلاد: ١٦٣.

٧٧ - ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١٠٦.

٧٨ - ينظر: المصدر نفسه : ١٠٦ .

٧٩ -كتاب سيبويه: ٢/ ٢٣٢.

٨٠ - ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١٠٧

٨١ - شرح الكافية الشافية: ٢٢/٢ .

٨٢ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٣٥٩١/٧.

٨٣ - كتاب سيبويه: ٢/ ٢١٨.

٨٤ - لم يعرف قائله. كتاب سيبويه: ٢/ ٢١٩، وهمع الهوامع: ٣/ ٧٣.

٨٥ - كتاب سيبويه: ٢/ ٢١٩.

٨٦ - تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٦٠٣.

٨٧ - شرح الكافية الشافية: ٢٥/٢ ،و: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ٧/ ٣٦٠٣.

٨٨ - كتاب سيبويه: ٢/ ٢٢٠.

٨٩ - المصدر نفسه: ٢/ ٢٢٧.

٩٠ - كتاب سيبويه: ١٨٢/٢.

٩١ - الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ١٦٤.

٩٢ - ينظر: ينظر: الإيضاح في شرح المفصل: ١/ ٢٥٢.

٩٣ - ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية: ١٦٤.

٩٤ - كتاب سيبويه: ١٨٢/٢-١٨٣.

٩٥ - ينظر: المقتصد في شرح الإيضاح: ٢/ ٧٦١ – ٧٦٨.

٩٦ - المقتضب: ٤/ ٢٠٢.

٩٧ - المصدر نفسه: ٤/ ٢٠٤.

٩٨ - ينظر: المصدر نفسه: ٤/ ٢٠٤-٢٠٥.

٩٩ - ينظر شرح الرضي على الكافية / الرضي الارستربادي: ١/ ٣٤٦، والإيضاح في شرح المفصل: ١/ ٢٥٠-٢٥١.

١٠٠ - ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٧٤.

١٠١ - ينظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية: ١٧٥، و مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١٠٣.

١٠٢ - ينظر: مسائل النحو العربي في قضايا الخطاب الوظيفي: ١١٧-١١٨.

١٠٣ - ينظر: المصدر نفسه : ١٢١.

١٠٤ - ينظر: المصدر نفسه: ١٢١.

١٠٥ - المصدر نفسه: ١٢١.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدّلالة دراسة نحوية تداولية، الدكتور خالد ميلاد، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، جامعة منوبة، كلية الآداب منوبة، تونس، (٢٠٠١م).
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف ابن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب هداية السالك إلى تحقيق أوضح المسالك، لمحمد محيي الدين عبد الحميد ،ط٦، دار الندوة الجديدة، بيروت ـ لبنان ،(١٩٨٠) .
- الإيضاح في شرح المفصل، لأبي عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي (ت ٦٤٦هـ) تحقيق: الدكتور موسى بناي العليلي ،مطبعة العاني، بغداد (١٩٨٢).
- التّبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور عبد

الرحمن سليمان العثيمين، ط١، الدار اللبنانية، بيروت ـ لبنان، (٢٠١١م)

- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد المعروف بناظر الجيش (ت ٧٧٨هـ)، تحقيق: أ.د. علي محمد فاخر، وأ. د جابر محمد البراجة، وأ.د. إبراهيم جمعة العجمي، ،أ.د. جابر السيد مبارك، وأ.د علي السنوسي محمد، وأ.د. محمد راغب نزّال، ط١، دار السلام للطباعة والتوزيع والنشر والترجمة، القاهرة ـ مصر، (٢٠٠٧م).
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (١٩٩٢م).
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ؛ ومعه شرح الشواهد للعيني، الصبان، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، ط١، المكتبة العصرية، الدار النموذجية ،المطبعة العصرية، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا ـ بيروت، (٢٠٠٤م).
- رصف المباني في شرح حروف المعاني :، أحمد بن عبد نور المالقي (ت٧٠٢هـ)، تحقيق: أ. د. أحمد محمد الخراط، ط٣، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (٢٠٠٢م).
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل الهمداني (ت ٧٦٩ هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مطبعة قلم، (د. م)، (١٣٨٤هـ) .
- شرح الألفية لابن مالك، الحسن بن قاسم المُرادي (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، ط١، دار ومكتبة المعارف للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، (٢٠٠٧م).
- شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، لابن عصفور الأشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: الدكتور صاحب أبو جناح ط١، عالم الكتب، بيوت ـ لبنان، (١٩٩٩م).
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت ٦٨٦هـ)، ط١، عالم الكتب، القاهرة (٢٠٠٠م).
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ط١٣، دار العربي للطباعة، (د. م)، (١٩٦٩م).
- شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، تحقيق: مصطفى عبد السميع سلامة، وأشرف محمد فريد غنام، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (٢٠٠٨م).
- شرح الكافية الشافية، للإمام أبي عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن مالك الطائي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق علي محمد معوّض ،و عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (٢٠٠٠م).
- شرح اللمع في النحو، القاسم بن محمد بن مباشر الواسطي الضرير، تحقيق: د. رجب عثمان محمد ،ط١، الشركة الدولية للطباعة، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة (٢٠٠٠م).
- كتاب سيبويه، أبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مطبعة المدني، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (١٩٨٨م).
- اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي " الأسس المعرفية والديداكتيكة "، علي أيت أوشان، ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (١٩٩٨م).

- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، (١٩٨٧م).
- مسائل النحو العربي في قضايا نحو الخطاب الوظيفي، د. أحمد المتوكل، ط١، دار الكتاب الجديد المتحدة، (٢٠٠٩ م).
- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) تحقيق: د. كاظم بحر المرجان دار الرشيد للنشر، العراق، المطبعة الوطنية، عمان ـ الأردن، (١٩٨٢ م).
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، (١٩٧٩).
- النكت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦هـ)، قرأه وضبط نصه الدكتور يحيي مراد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ((٢٠٠٥م).
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الشركة الدولية للطباعة، عالم الكتب للنشر، القاهرة، (٢٠٠١م).
- الوظائف التداولية في اللغة العربية، الدكتور أحمد المتوكل ،ط١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ـ المغرب، (د. ت).